﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨﴾ [الطّور: 37 - 38]

❁ مناسبةُ الآيتين لِما قَبْلَهما:

عـجـزهـم عـن الخَلْق والتّدبير يـقـتـضي نـفـيَ قـدرتـهـم على اختيار النّبوّة

بعد أن نفى النّظمُ الجليل فيما سبق أن يكون للمشركين تصرّفٌ ما في الخَلْق والإيجاد، وبَيَّنَ فسادَ عقولِهم؛ أعْقَبَه في هاتين الآيتين بنفي عِلمهم واطّلاعهم على ما يخوّلهم التّصرّفَ في خزائن الله، أو سلطةً في تعيين مَن يكون رسولًا، فكما أنّهم لا يملكون القدرةَ على خَلْق أنفسِهم أو الكون، فكذلك لا يملكون حقّ الاعتراضِ على مَن اختاره الله للرّسالة[1].

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿خَزَآئِنُ﴾: (خزن) أصلٌ يدلّ على صيانة الشّيء، يقال: خزنتُ الدّرهمَ وغيرَه خزنًا؛ وخزنت السّرّ[2]. وخزن الشّيءَ: أحرزه، والخِزانة: اسمُ الموضع الذي يُخْزَن فيه الشّيء، والجمع: الخزائن[3]. والخَزْنُ: سَترُ الشّيءِ وحِفْظُه، ومنه: خازن المال[4]. وقوله تعالى: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 50]، أي: مقدوراتُه التي منعها النّاسَ، لأنّ الخَزْن ضربٌ من المنع[5]. والمراد به في الآية الكريمة: رزقه، وعِلمه[6].

2) ﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾: (سطر) أصلٌ يدلّ على اصطفاف الشّيء، كالكتاب والشّجر، وكلّ شيء اصطفّ[7]. ومن الأصل سيطر: تَسَلّط،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 72.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خزن).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (خزن).
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (خزن).
(5) الرّاغب، المفردات: (خزن).
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سطر).

فكأنّ المُسيطر امتدّ حتّى طالهم وأمسكهم وضبطَهم بقوّته، قال تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[1]، والسَّيْطَرةُ مصدر المُسَيْطِر، وهو كالرَّقيب الحافظ المُتَعَهِّد للشّيء[2]، وسَيْطَرَ عليه: إذا أقام عليه قيامَ سطر، والمُسَيْطِر كالقائم في قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرّعد: 33]، والحفيظ في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: 104][3]. والمراد به في الآية الكريمة: الغالب على الشّيء، يديره كيف يشاء[4].

3) ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: (سلط) أصلٌ يدلّ على القوّة والقَهْر[5]، والسُّلْطانُ في معنى الحُجّة، قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: 29] أي: حُجَّتيَه[6]. وكلُّ سلطانٍ في القرآن فهو حُجّة. قال: وإنّما سُمّي سلطانًا لأنّه حُجّةُ لله جلّ وعزّ في أرضه[7]. وسُمّيت الحُجّة سلطانًا؛ وذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب، لكن أكثر تسلّطه على أهل العِلم والحكمة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ [غافر: 35][8]. والمراد به في الآية الكريمة: الحُجّة البيّنة، أي: حجّة واضحة تُصَدِّق استماعَه[9].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

تستأنف الآيتان الكريمتان إبطالَ مزاعمِ المشركين بالسّؤال الإنكاريّ: أفي أيديهم خزائنُ رحمة الله وقدرته، فيمنحون النّبوّة لمن شاؤوا؟ أم همُ المُسَيطرون المُتَسَلِّطونَ بالقوّة على شؤون الخَلق؟

إبطالُ مزاعمِ أهلِ الشّرك في قدرتهم على التّسلّط والسّيطرة

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سطر).
(2) الخليل، العين: (سطر).
(3) الرّاغب، المفردات: (سطر).
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سلط).
(6) الخليل، العين: (سلط).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سلط).
(8) الرّاغب، المفردات: (سلط).
(9) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.

وكلُّ ذلك باطل، فهم لا يملكون شيئًا من أمر الله. ثمّ يتساءل النّظمُ مُنكِرًا: هل لهم سُلّمٌ ومَصْعَدٌ يرتقون به إلى السّماء، يستمعون فيه الوحيَ حتّى يكون لهم مستندٌ لما يقولون؟ فإن زعموا ذلك، فليأتِ سامعُهم بحُجّة ظاهرة تُثبت دعواهم، لكنّهم لا يملكون سوى الظّنّونِ والبُهتان[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

نُكْتَةُ إعادة ذكر ﴿أَمْ﴾:

تأكيد الإنكار وإبطال تصرُّفهم في شؤون الخلائق

أعاد النّظمُ الجليل ذِكْرَ ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾، وهي هنا منقطعةٌ دالّةٌ على الإضراب الإبطاليّ، والمُراد إبطالُ أن يكون لهم تصرّفٌ في شؤون الرّبوبيّة، والاستفهام فيها للإنكار والتّهكّم بهم بتنزيلهم منزلةَ من يَدّعي امتلاكَ خزائنِ الرّحمن، ودلّ تكرارُها على تأكيد الإنكار[2].

نُكْتَةُ تقديم الظّرفيّة ﴿عِندَهُمْ﴾:

إفادة القَصْر والاختصاص

قدّم النّظمُ الجليل الظّرفيّةَ ﴿عِندَهُمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾؛ لإفادة القَصْر والاختصاص[3]، والمُراد تأكيدُ انتفاءِ امتلاكِهم الخزائن.

دلالة التّعبير بالظّرفيّة (عند):

مُلك الشّيء حَوْزٌ له ووجودٌ في المكان

عبّر النّظمُ الجليل بالظّرف (عند) في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾، وهي هنا مستعملةٌ بمعنى المِلك والاختصاص، أي: أيَملِكون خزائنَ ربِّكَ[4]. فنفى أن يكون لهم شأنٌ ما في أمور الخلائق من الرّزق والخلق وغيره. وفي التّعبير بها مزيدُ تهكُّم بالمشركين في سلبهم هذا الزّعم منَ التّصرّف؛ فضلًا عن وجوده أصلًا.

(1) جماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 525.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 70.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 28.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 71.

دلالة التّعبير بالخزائن مادّةً وصيغةً:

الخـزائـن محلُّ المُقتنيات والمنافع

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الخزائن في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ وهي جمع خزانة، وهي موضع الخَزْن، وتدلّ على المقدورات التي تنفع النّاس[1]، أي: خزائن رزقه، ومنها النّبوّة والعِلم، فهل كانت هذه الخزائنُ لهم حتّى يُقرّوا هم مَن يُرزق النّبوّة والعِلم؟![2]. وجاء التّعبير بصيغة الجمع لأنّ خزائن الله تعالى كثيرةٌ تعُمّ كلَّ شيء ممّا ينفع المخلوقات، ولأنّ المقام هنا جدير بالمبالغة في إفحام المشركين والتّهكّم بهم؛ فجاء التّعبير بهذه الصّيغة ليُؤكّد على هذا المعنى.

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿خَزَآئِنُ﴾:

الخـزائـن أسـرارُ الله المُغَيّبة من قضائه وقَدَرِه

في قوله: ﴿خَزَآئِنُ﴾ استعارةٌ دلّ عليها السّياقُ؛ لأنّ المراد أسرارُ الله المُغَيّبة من قضائه وقَدَرِه، وتقسيم الحظوظ بين العباد؛ فشُبّهت تلك الأُمور بالخزائن، والجامع بينهما الخفاء، والغَرضُ منها: توبيخُهم على غرورهم واستعلائهم[3].

سرُّ تجريدِ الخزائن من وصف الرّحمة:

مناسبة سياق الآيـــة لـدفـع غرورهم

جاء التّعبير القرآنيُّ ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من دون ذِكْر الرّحمة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [ص: 9]؛ وذلك لأنّ السّياق هنا يقتضي ذلك في ردّ غرورهم واستعلائهم؛ فهم يتوهّمون أنّهم يملكون النّفعَ والضّرّ، والعطاءَ والحِرمان، ونحوَ ذلك؛ فكان تجريدُ السّياق من لفظ الرّحمة هو المناسِبُ لدَفْع غرورِهم[4].

نُكْتَةُ إضافةِ الخزائن إلى لفظ الرّبوبيّة:

أرزاق العباد بيد الله تعالى وحدَه

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ الخزائنِ إلى الرّبوبيّة في قوله جلّ

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (خزن).
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(3) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 170.
(4) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 170.

شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾، دونَ لفظِ الجلالة (اللّه)، كما ورد في مواطن أخرى بقوله: ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 50] [هود: 31]؛ لأنّ عنوانَ الرّبوبيّة هو المناسِبُ لهذا السّياق؛ فالمقامُ هنا يتحدّث عن عطاءات اللّه وأرزاقِه، والرّبوبيّة من معانيها الرّزق والعطاء؛ بخلاف الإضافة إلى لفظ الجلالة؛ فهو يَرِد دائمًا في مقام الهيبة والتّعظيم. وممّا يُذْكَر في الإضافة: أنّها تُفيد دفعَ تَوَهّمٍ يَرِدُ في خاطرهم أنّ المراد خزائنُهم، فدلّت الإضافةُ على أنّ المراد الخزائنُ المُختصّة بربّ العالَمين.

سرّ إضافة الرّبوبيّة إلى ضمير المخاطب:

تثبيت الفؤاد بالتّذكير بالإحسان

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ الرّبوبيّة إلى ضمير المخاطب في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾، والمراد به النّبيُّ ﷺ؛ وذلك إشارةً إلى إحسانه تعالى عليه بالنّبوّة والرّسالة[1]، وهو تسليةٌ له ﷺ.

نُكْتَةُ إعادة ﴿أَمْ﴾:

تأكيدُ الإنكار، تقريعًا لمسامع الكفّار، وإبطالًا لمزاعمهم

كرّر النّظمُ الجليل ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ تأكيدًا للإنكار، فليس لهم تصرّفٌ في عطاء اللّه تعالى في شأن النّبوّة والرّسالة والأرزاق، فليس لهم ذلك حتّى لو كان مثلَ تصرّفِ الوكيل والخازن[2].

دلالة تعريف طَرَفَي الإسناد:

تصوير غُرور الكفّار وبلوغهم حَدّ المَدى في ادّعاء السّلطة

عرّف النّظمُ الجليل طَرَفي الإسنادِ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾؛ للدّلالة على القَصْر، أي: هم لا غيرُهم الرّقباءُ الحافظون والرّؤساء[3]. فعَبّر بذلك لتأكيد الإنكار، فهُم ليسوا من ذلك بشيء، فالقَصْر إضافيٌّ، أي: إنّهم بفعلهم ذلك يُنزّلون أنفسَهم منزلةَ مِن اقتصر عليه الحُكم والسّيطرة والنّفوذ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 28.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 71.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 28.

نُكْتَةُ تقديمِ المسنَد إليه على المسنَد الفعليّ:

تأكيدُ الأمرِ في مقام الاحتجاج

قدّم النّظمُ القرآنيُّ المسنَد إليه ﴿أَمْ هُمُ﴾ على الخبر؛ وذلك لإفادة القَصْر، وساعد على ذلك استخدامُ ضميرِ الفَصْل ﴿هُمُ﴾، والغَرَضُ من ذلك: تأكيدُ الأمرِ في مقام الاحتجاج.

دلالة التّعبير بالمُصيطرين مادّةً وصيغةً:

المصيطر المُتعهِّدُ للشّيء المُتسلّط عليه، واسمِ الفاعل لثبوت الوصف وقوّته

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ دونَ غيرِه؛ لما يحمله من دلالات في مواجهة المشركين، والمعنى: بل أهُم المُسَلّطون الجبّارون الغالبون على الأمور، يُدَبِّرونها كيفما شاؤوا، ويبنونها على إرادتهم، ويجبرون النّاسَ على ما شاؤوا؛ لأنّ لفظ المصيطر يُطلَق على المُسَلّط القاهر، الذي لا يكون تحتَ أمرِ أحد ونهيه، يفعل ما يشاء[1]. فهو المُتعهِّدُ للشّيء المُتَسلّط عليه[2]. وجاء التّعبيرُ بصيغة اسمِ الفاعل للدّلالة على ثبوت الوصف وقوّته، أي: أم هم العريقون بالسّيطرة والحُكم.

دلالة التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾:

إنكار وسائل استماعِهم لما يَجري في العالم العُلويّ

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾، وهي هنا منقطعةٌ، والاستفهام فيها دالٌّ على الإنكار، فأنكر وسائلَ استماعِهم لما يجري في العالم العُلْويّ، فيسترقوا بعضَ العِلْم ممّا هو محجوب عن النّاس[3]. وممّا يُذْكَر في دلالة التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾ أنّ القرآن سلك في نفي علمهم بالغيب طريقَ التّهكّم بهم بإنكار أن يكون لهم سُلَّمٌ يرتقون به إلى السّماء؛ ليستمعوا ما يجري في العالم العُلويّ من أمر تتلقّاه الملائكةُ في الملأ الأعلى بعضُهم مع بعض؛ لأنّه من المعلوم أنّه لا سُلّمَ يصل أهلَ الأرضِ بالسّماء، وفي ذلك مزيدُ توبيخٍ لهم[4].

(1) الهرويّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 86.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سطر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 72.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 72.

دلالة اللّام في ﴿لَهُمْ﴾:

مزيدٌ من التّقريع والتّوبيخ لهؤلاء الكفرة

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (اللّام) قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾، وهو هنا للتّخصيص، أي: أيختصّون بسُلَّم يرتقون به إلى السّماء، وفي ذلك مزيدٌ من التّقريع والتّوبيخ لهؤلاء الكفرة.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

إنكارُ اختصاصهم بنيل العِلْم السّماويّ

قدّمَ النّظمُ الجليل شبهَ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ على المسند إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾؛ وذلك للدّلالة على الاختصاص، فأنكر اختصاصَهم بسُلّم يطّلعون من خلاله على أمر السّماء، فليس لهم وسيلة خاصّة بهم تمكّنهم من المعرفة التي لا يطّلع عليها أحدٌ سواهم.

سرّ التّعبير بـ ﴿سُلَّمٌ﴾ دون غيره:

عموم لفظِ السّلّم، ونفيُ الأعمّ يلزم منه نفيُ الأخصّ

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بلفظ ﴿سُلَّمٌ﴾ دونَ غيره كالمَصْعَد ونحوِه؛ لأنّه أعمّ، فيندرج تحتَه وسائلُ الصّعود والمعارج، ونفيُ الأعمِّ يلزم منه نفيُ الأخصّ؛ لأنّ السُّلَّمَ يُطْلَق على ما يُتَوصَّلُ به إلى الأمكنة العالية؛ فيُرجَى به السّلامة؛ ثمّ جُعِلَ اسمًا لكلّ ما يُتَوصّلُ به إلى الشّيء، بخلاف المَصْعَد فإنّه يُستعمَل في الصّعود إلى الأماكن المرتفعة في الأرض أو في السّماء[1].

نُكْتَةُ تنكير ﴿سُلَّمٌ﴾:

تفخيم السُّلّم وتعظيمُه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ السُّلَّم بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾؛ لإفادة العموم، أي: سلّمٌ ما، كما أنّه يدلّ على التّفخيم والتّعظيم، فسُلَّمٌ من شأنه أن يُمَكِّن النّاسَ من الرُّقيِّ إلى السّماء، هو سُلّمٌ في غاية العِظَم.

دلالة التّعبير بالفعل المضارع: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾:

الباطل يحتاج إلى تجديد الإنكار عليه حتّى لا يستشري

آثَر النّظم الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المضارع ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ في قوله

(1) الرّاغب، المفردات: (سلم) (صعد).

جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ للدّلالة على تجدّد الاستماع، فيَؤول المعنى إلى تجدّد الإنكار عليهم.

سرّ حذفِ مفعولِ ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾:

إفـادةُ العـموم لكلّ ما من شأنه أن يُسْمَع

ترك النّظمُ القرآنيُّ ذِكْر مفعولِ ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ وذلك للدّلالة على العموم، فيَعُمّ كلَّ الكلامِ الذي من شأنه أن يُسمَع؛ من الأمور الغَيبيّة، كالمتعلّقة بأمور الوحي، أو ما يتعلّق بالمستقبل وغيره[1]، كالحشر وما يتبعه من أحوال يوم القيامة. ويجوز أن يكون الكلامُ من باب ترك المفعول رأسًا، كأنّه يقول: هل لهم قوة الاستماع من السماء حتّى يعلموا أنّه ليس برسول، وكلامه ليس بمرسل[2].

نُكْتَةُ تعديةِ السّماع بـ (في):

تضمين السّماع معنى الصّعود

عدّى النّظمُ الجليل فعلَ الاستماعِ بحرف الجَرّ (في) في قوله جلّ شأنه: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ وذلك لتضمين الفعلِ معنى الصّعود، أي: يستمعون صاعدين فيه إلى السّماء لسماع كلام الملائكة[3].

بلاغة التّعبير بالظّرفيّة (في):

السُّلَّمَ السُّلَّمُ كـالـظّـرف لمـنِ ارتقى عليه

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الظّرفيّة (في) في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾، وهي هنا للظّرفيّة المجازيّة، فجعل السُّلَّمَ كالظّرف لمنِ ارتقى عليه؛ وذلك لأنّ الرّاقيَ في السُّلَّم يكون كلّه عليه[4]. وكذلك يدلّ على أنّ استماعهم إنّما يكون وهم على ذلك السُّلّم. ويجوز أن تكون الظّرفيّة بمعنى (على)، والتّقدير: أم لهم سُلّم يستمعون عليه، والأوْلَى بقاءُ الظّرفيّة على معناها؛ لأنّها الأمكن في بيان المعنى، من حيثُ الدّلالة على أنّ أجزاء السُّلّم آلة للاستماع.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 72.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 522.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 73.

سرّ التّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَلْيَأْتِ﴾:

ترتّيب البرهان على ادّعاء الارتقاء والسّماع

عبّر النّظمُ الجليل بالفاء الدّالّة على السّببيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأنّ مَن يمتلك سُلَّمًا يُمَكَّن من الصّعود إلى السّماء، ويكون متمكِّنًا من الإتيان بالعجائب من الأخبار، وهذا يتطلّب أنّه يكون مُلزَمًا بأن يأتيَ بدليل على صعوده واستماعه[1]، ويجوز أن تكون لتفريع هذا الأمرِ التّعجيزيّ على النّفي المُستفادِ منِ استفهام الإنكار.

دلالة اللّام في ﴿فَلْيَأْتِ﴾:

الإتيان بالبرهان واجبٌ مُلزِمٌ على صاحب كلّ دعوى

عبّر النّظمُ الجليل بـ (باللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ وهي هنا لامُ الأمر التي تدخل على المضارع فتجزمه[2]. فألزمَهم بوجوب الإتيان بحُجّة تُبيِّن أنّهم على الحقّ في ادّعائهم بتكذيب النّبوّة[3]، وفي التّعبير بها مزيدٌ من المبالغة في طلب الإتيان.

دلالة الأمر بالإتيان في قوله: ﴿فَلْيَأْتِ﴾:

تعجيز المخاطَب بأمر لا يَسعُه، يُظهِر باطلَه ويكشف ضلالَه

عبّر النّظمُ الجليل بالأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، والمُراد منه التّعجيز، فهو أمر تعجيزيّ؛ وذلك لأنّ أصل الاستماع منتفٍ بدلالة الاستفهام الإنكاريّ[4]. وفي التّعبير بالأمر مزيدُ توبيخٍ في إقامة الحُجّة عليهم، وذلك باستعمال طريقة الافتراض بأن يقول: وعلى فرض أنّهم يعلمون الغيبَ ولهم أدواتُهم التي توصلهم إلى ذلك؛ فقد طلب القرآنُ منهم أن يأتيَ مستمعُهم بدليل واضح في قوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ دون (فليأتوا):

جاء التّعبير القرآنيُّ بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾، ولم يقل:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 29.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 300.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 87.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 73.

طلبُ ما يكون أهونَ على تقدير صدقهم

(فليأتوا) كما سبق في قوله: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾، وسرُّ ذلك كما يقول الرّازيّ: طلب منهم ما يكون أهونَ على تقدير صدقهم، ليكون اجتماعُهم عليه أدلّ على بُطلان قولهم؛ فقال هناك: ﴿فَلْيَأْتُواْ﴾ بصيغة الجمع، أي: اجتمعوا عليه وتعاونوا وأتَوا بمثله، فإن ذلك عند الاجتماع أهون، وأمّا الارتقاء في السُّلَّم بالاجتماع؛ فإنّه متعذِّرٌ؛ لأنّه لا يَرتقي إلّا واحد بعد واحد، ولا يحصل في الدّرجة العليا إلّا واحد؛ فقال ﴿فَلْيَأْتِ﴾ ذلك الواحد الذي كان أشدّ رُقيًّا بما سمعه[1].

نُكْتَةُ إفرادِ ﴿مُسْتَمِعُهُم﴾:

وقوعُ الاستماع من واحد يكفي لصحّة الدّعوى

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بصيغة المُفرَد في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾، فلم يقل: (مستمعوهم)؛ لأنّ القوم يرسلون واحدًا منهم يستمع لهم، فهو يستمع لأجلهم، فالمستمع واحد[2]. فليس الاستماع مطلوبًا من كلّهم، بل يكفي أن تقع تلك الحُجّة بواحد منهم، والإفراد فيها أدقّ في طلب الحُجّة.

بلاغة جِناس الاشتقاق بين ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ و﴿مُسْتَمِعُهُم﴾:

تأكيدُ انتفاءِ الاستماع، وتقويةُ الإنكارِ عليه

جمع النّظمُ الجليل بين لفظين من الجَذْر (سمع) في قوله جلّ شأنه: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِۦٓ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ على طريقة الجناس الاشتقاقيّ؛ وذلك لتأكيد انتفاء الاستماع، وتقوية الإنكار عليه، فهم لم يستمعوا إلى شيء من خبر السّماء، فكرّر لفظَين من جَذْر واحد تنبيهًا عليه.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾:

لا قَبولَ لدعوى، ما لم ترافقها الحُجّة

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وهي هنا للتّعدية أو الملابسة[3]،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 522.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 73.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 259.

والمعنى: فليأتِ متلبّسًا بالحُجّة، أو يقدّم حُجّتَه؛ فلا قَبولَ لدعوى ما لم ترافقها حجّةٌ ودليلٌ بيّنٌ.

سرّ التّعبير بـ(سلطان) دون حُجّة:

السّلطان أقوى من الحُجّة لما يحمله من معنى القوّة

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالسّلطان في قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ دون الحُجّة لوجود فرق بينهما؛ فمادّةُ (سلط) تدلّ على القوّة، وأمّا مادة الحُجّة فتدلّ على الاستقامة في النّظر والمضي فيه على سَنَنٍ مستقيم؛ لأنّها مأخوذة من المَحَجّة وهي الطّريق المستقيم، وعلى هذا فالسّلطان أقوى من الحُجّة؛ لأنّه يحمل معنى زائدًا عليها، وهو القوّة؛ لذلك آثَر التّعبيرَ به لما يحمله من قوّة الاستدلال.

نُكْتَةُ تنكير (سلطان):

لا تُقْبَل الدّعوى إلّا ببرهان قاطع

عبّر النّظمُ الجليل عن السّلطان بصيغة التّنكير في قوله تعالى: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ للدّلالة على قوّة الحُجّة وتعظيمها، فالمراد: "حجّة قاهرة بيّنةٌ في نفسها موضِحَة؛ لأنها من السماء"[1].

نُكْتَةُ وصفِ السّلطان بأنّه ﴿مُّبِينٍ﴾:

الحُجّة يجب أن تكون بيّنة في نفسها مبيّنة لغيرها

وصفَ النّظمُ الجليل السّلطانَ بالمُبين في قوله جلّ شأنه: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ للدّلالة على أنّ الحُجّة يجب أن تكون واضحةً تُثْبِتُ استماعَه[2]، فتُظْهِرُ صِدْقَه لعموم النّاس، وجاءت بصيغة اسم الفاعل للدّلالة على تمكّن صفةِ البيان والوضوح فيها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السّلطان والحُجّة:

السُّلطان أخصّ من الحُجّة

أصل السُّلْطان من السُّلْطَة، وهي القوّة، ومنه السّليط لقوّة اشتماله، والسّلاطة لحِدّة اللّسان[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 29.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 155.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 493.

أمّا الحُجّة: فهي الاستقامة في النّظر، والمضيّ فيه على سَنَنٍ مستقيمٍ، من ردّ الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المَحجّة، وهي الطّريق المستقيم، وهذا هو فعله المستدل، والحُجّة مشتقّة من معنى الاستقامة في القصد، حجّ يَحُجّ، إذا استقام في قصده[1]. فالسّلطانُ أقوى من الحُجّة؛ لأنّه يحمل معنًى زائدًا على الحُجّة، وهو القوّة. والحُجّة: هي الطّريقة التي يُستَدلّ بها على الحقّ، وتقود إليه، ولذلك آثَر القرآنُ هنا السّلطان دون غيره؛ لأنّ المراد قوّةُ الاستدلال.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 70.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"